Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences
ALAbyar University of Benghazi
ISSUE: 2 – August 2024
مجلــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار
جامعة بنغازي
العــدد: الثاني – أغسطس 2024

وظائفُ اللسانِ البشريّ ونظريّة التواصل اللغويّ عند (رومان جاكبسون)

[1] أ.سليمان عبد النبي عطيّة

1. محاضر بقسم اللغة العربية- جامعة بنغازي- sulayman.ateeyah@uob.edu.ly

DOI: https://doi.org/10.37376/ajhas.vi2.6855	Received: 26.05.2024	Accepted: 03.06.2024	Published: 16.08.2024

ملخص:

اللسان عضوٌ يوجد داخل فم الإنسان، يقوم بوظائف عدّة، أهمّها النطق، وهو عضوٌ مرنٌ قابلٌ للحركة إلى حدٍّ كبير، ممّا يمكنه أن يُسهم في إنتاج عددٍ كبيرٍ من الأصوات اللغويّة، تصل إلى ثمانية عشر حرفاً، بالاشتراك مع أجزاء أخرى من الفم، كالأسنان، والحنك.

وعن طريق هذا العضو يتمّ التواصل بين الناس، ولهذا أشيرَ إلى نظريّة مهمّة في علم اللسانيات، هي نظريّة (التواصل اللغويّ) التي تنسب إلى العالم الروسيّ: رومان جاكبسون (1896م – 1982م) الذي يُعدّ أحد أبرز اللسانيين خلال النصف الأول من القرن الماضي، حيثُ استطاع أن يوسّع دائرة البحث ليشمل اللغة ومستعمليها، بإشراكه المخاطَب في الحدث الكلاميّ.

الكلمات المفتاحية: النطق، الأصوات، أعضاء، المتلقي، مفاهيم.

Copyright©C2024University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens

Scan QR & Read Article Online.

Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences
ALAbyar University of Benghazi
ISSUE: 2 – August 2024
مجلــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار
جامعة بنغازي
العــدد: الثاني – أغسطس 2024

Functions.of.the.human.tongue.Roman.Jakobson's.theory.of.linguistic communication

[1]Mr. Suleiman Abdelnabi Atea.
1. Lecturer in the Arabic Language Department, College of Arts, Benghazi

Abstract

The tongue is an organ located inside the human mouth, performing several functions, most notably speech. It is a flexible and highly movable organ, which enables it to contribute to the production of a wide range of linguistic sounds, up to eighteen letters, in collaboration with other parts of the mouth, such as the teeth and palate.

Through this organ, communication between people takes place, leading to an important theory in linguistics known as the theory of "linguistic communication," attributed to the Russian scholar Roman Jakobson (1896 CE - 1982 CE). Jakobson is considered one of the foremost linguists of the first half of the last century, as he expanded the scope of research to include language and its users by involving the addressee in the speech event.

Keywords: speech, sounds, organs, recipient, concepts.

مقدّمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أمّا بعد: فإن الله تعالى كرّم الإنسان، وشرّفه بفضيلة النطق والبيان، وميّزه بهذه الخاصيّة على سائر أصناف الحيوان، فقال جلّ ذكره: "الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ" (الرحمن، الآيات: 1، 2، 3)، فالنطقُ ميزةٌ وهبها الله سبحانه وتعالى لهذا الكائن، وفضّله بها، حتى يتمكّن من البوح بمكنونات نفسه، والتعبير عن رغباته وطموحاته، وبثّ أشجانه وما يعتلج في صدره، وفي مقابل هذه الخاصّية كلّفه خالقه بعبادته، فأرسل إليه الرسل، وأنزل إليه الكتب، فبواسطة النطق يعبد الإنسان ربّه، فيصلي ويتلو القرآن، ويدعو، إلى غير ذلك من العبادات.

وقد امتنّ الله عزّ وجلّ عليه بهذه النعمة في قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ"، (البلد، الآيتان: 7 و8)، وقال مصوّراً قيمة النطق: "إن من البيان لسِحْراً"، (البخاري، برقم: 5767)، وقديماً قيل: المرءُ بأصغريه: قلبه ولسانه، وقال زهير بن أبي سلمى:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدّمِ (ابن أبي سلمى، 2005م: 71)

إشكاليّة البحث:

تتمثّل إشكاليّة البحث في وجود بعض الغموض، وبخاصة في الشق الثاني منه، حيث تعدّدت دراسات الغرب ونظريّاتهم اللغويّة في القرن الماضي، ولم يتسنّ لنا الاطلاع عليها إلا في الآونة الأخيرة، ولا شك أن الإلمام بهذه النظريات والأفكار مفيدٌ للغتنا، وثقافتنا العربية بشكلٍ عام.

أهمّيّة البحث:

تكمن أهمّيّة البحث في التعرّف على أحد أهم أعضاء النطق، وهو اللسان، ومعرفة أجزائه، والأصوات التي يمكن أن تصدر عنه. كذلك كشف النقاب عن نظريّة مهمّة في علم اللسانيات، والدرس اللغويّ الحديث، واستكشاف ما يكتنفها من غموض.

منهج البحث:

بعد جمع المادّة وتصنيفها اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهجِ الوصفيّ، مع الاستعانة أحياناً بالمنهج التحليليّ.

هيكلة البحث:

في هذه الدراسة يُسلّطُ الضوءُ على موضوعين متعلقين بالنطق، ومرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، هما:

وظائف اللسان البشريّ.

التواصل اللغوي عند (جاكبسون) وقد وُضع كل واحد منهما في مبحث، فدُرس المبحث الأول وِفق المنطلقات الآتية:

- مفهوم اللسان ومكانه بين أعضاء النطق.
- أهمّيّة اللسان ودوره في عمليّة النطق.
- أجزاء اللسان ووظيفة كل جزء.

وأشِير خلال ذلك إلى آراء القدماء والمحدَثين في أقسام هذا العضو، وما يصدر عنه من أصوات.

أما المبحث الثاني فتندرج تحته العناصر الآتية:

- توضيح المصطلحات الواردة في الدراسة.
- نظريّة التواصل اللغوي: نشأتها وتطوّرها.

E-ISSN 3007-4495
ISSN-L 3007-4495
Legal Deposit Number 313/2023
DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi2
Frequency: Two Issues per year
Publication Fees are Free
Publisher: University of Benghazi, Benghazi, Libya
Editor-in-Chief Prof. Mohamed Lama
https://journals.uob.edu.ly/AJHAS
ajhas.journal@uob.edu.ly
+218924809776

- عناصر التواصل اللغوي عند (رومان جاكبسون).
- وظائف التواصل اللغوي عند (رومان جاكبسون).

وفيه تعريف موجز بـ(جاكسون)، وبيان عناصر نظريّته التواصليّة - كما يراها - وعلاقتها بوظائف اللغة، يلي ذلك الخاتمة وبها نتائج البحث، ثم قائمة بأهمّ المراجع.

الدراسات السابقة:

تطرقت عدّة دراسات من كتب وأبحاث لهذا الموضوع، منها:

الكتب:

دراسات الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997م.

بحوث ودراسات في علوم اللسان: د. عبد الرحمن الحاج صالح، الجزائر،2012م.

أساسيات اللغة: ر. ل. تراسك، ترجمة: رانيا إبراهيم يوسف، إشراف: جابر عصفور، 2002م.

التواصل اللساني والسيميائي والتربوي: د. جميل حمداوي: شبكة الألوكة، ط1، 2015م.

الأبحاث:

نظريّة التواصل، المفهوم والمصطلح، د. رضوان القضماني، جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة، مجلة جامعة تشرين، الجزائر، 2007م.

التواصل اللغويّ ووظائف عمليّة الاتصال في ضوء اللسانيّات الحديثة، د. فاطمة الزهراء صادق، جامعة سيدي بلعباس/ الجزائر، م الأثر، ع 28، 2017م.

نظريّة التواصل في ضوء اللسانيّات الحديثة، محند الركيك، كلية الآداب/ تازة.

لكن هذه الدراسات تختلف من حيث مناهجها، وتناولها للموضوع عن هذا البحث الذي جمع بين موضوعين متجانسين، بأسلوب وجيز.

المبحث الأول

وظائفُ اللسانِ البشريّ

مفهوم اللسان ومكانه بين أعضاء النطق:

اللسان مشتقٌ من (لسن)، جاء في معجم مقاييس اللغة: "(لسن) اللام والسين والنون أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلّ على طولٍ لطيفٍ غير بائن، في عضو أو غيره، من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكّر، والجمع ألسُن،

فإذا كثُرَ فهي الألسنة... وقد يُعبّر بالرسالة عن اللسان فيؤنث حينئذٍ، قال: إنّي أتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بها من عَلْوَ، لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ". (ابن فارس، 1399هـ.1979: 5/ 246)

وجاء في لسان العرب: "اللسان جارحة الكلام، وقد يُكْنى بها عن الكلمة فيؤنّث حينئذٍ، قال أعشى باهلة: إنّي أتتني ...البيت

وقد يذكّر على معنى الكلام، قال الحطيئة:

ندمتُ على لسانٍ فات منّي فليْتَ بأنّه في جَوْفِ عَكْمِ"، (ابن منظور، د، ت: 13/ 385).

واللسان هو أحد أعضاء النطق لدى الإنسان، بل أهمّها، والكلام عن اللسان البشريّ ووظائفه، يسوق إلى الكلام عن أعضاء النطق عموماً، وهي تلك الأعضاء المسؤولة عن إنتاج الصوت الإنسانيّ، وتنقسم قسمين:

الأعضاء النطقيّة الثابتة.

الأعضاء النطقيّة المتحرّكة.

تشمل أعضاء النطق الثابتة: الأسنان، والفك العلويّ، والغار، والجدار الخلفي للحلق، والأنف.

وتشمل أعضاء النطق المتحرّكة: الشفتين، واللسان، والطبق، والفك السفليّ، واللهاة، والحنجرة، والوترين الصوتيين، والرئتين، والحجاب الحاجز. (أنيس، 1979م: 16، 17).

الشكل (1) أعضاء النطق الثابتة والمتحرّكة.

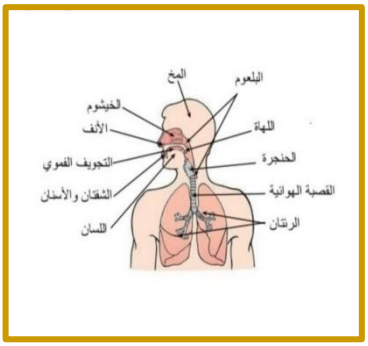

اللسان وأهمّيّته في عمليّة النطق:

لقد عبّر القرآن الكريم عن اللغة باللسان في أكثر من آية؛ لأهمّيّته ولدوره الكبير في إخراج العديد من الأصوات، كما في قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"، (إبراهيم، آ:4)، وقوله تعالى: "إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ"، (النحل، آ: 103)، وقوله تعالى: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ"، (الشعراء، آ: 195).

كما أنّ القدماء اعتادوا أن ينسبوا النطق إلى هذا العضو بصفة خاصّة لأهمّيته، فهو عضوٌ مرنٌ قابلٌ للحركة إلى حدٍّ كبير، وفي اتجاهات مختلفة، وبإمكانه أن يتّخذ أوضاعاً متعدّدة، ممّا يمكنه أن يُسهم في إنتاج عددٍ كبيرٍ

من الأصوات اللغويّة، "فهو ينتقل من وضعٍ إلى آخر، فيكيّفُ الصوتَ اللغويّ على حسب أوضاعه المختلفة"، (أنيس، 1979م: 16،18).

ولذا نجد الخليل بن أحمد (ت 175هـ)، وسيبويه (ت 180هـ)، وابن جنّي (ت 392هـ) – رحمهم الله – وغيرهم ممّن تعرّض لذكر مخارج الحروف من علمائنا القدامى، نجدهم قد ذكروا أعضاء النطق في أثناء حديثهم عن الأصوات ومخارجها وصفاتها، وذكروا من بينها اللسان، فهذا سيبويه مثلاً يقول في وصف (الضاد الضعيفة): "تُتَكلّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلّفتها من الجانب الأيسر، وهو أخفّ؛ لأنّها من حافّة اللسان مطبقةٌ ... وإنّما جاز هذا فيها لأنّك تُحوّلها من اليسار إلى الوضع الذي في اليمين، وهي أخفّ لأنها من حافّة اللسان، ولأنّها تخالط مُخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيلُ حين تُخالط حروف اللسان"، (سيبويه، 1395هـ.1975م: 4/ 432).

وحين تكلم عن مخارج الحروف العربيّة، نراه ينصّ على أنه يصدر عن هذا العضو مجموعةٌ كبيرةٌ من الحروف تصل إلى ثمانية عشر حرفاً، فمخارج الحروف التي ذكرها سيبويه خمسة عشر مخرجاً، نلاحظ أنه ورد ذكر اللسان في عشرة منها، باشتراكه مع غيره من أعضاء النطق على اختلافها، فقد ورد ذكر طرفه في خمسة مخارج، وحافّته في مخرجين، ووسطه ومؤخّرته وأقصاه ورد كل منها في مخرج، (السابق: 4/ 433)، وهذا ممّا يؤكّد دور هذا العضو، وأهمّيّته في عمليّة النطق.

أجزاءُ اللسانِ ووظائفُه:

يقوم اللسان بعدّة وظائفَ، منها:

النطق :المساعدة في عمليّة المضغ.

التذوّق :وهو يتكوّن من جزأين أساسيين، هما:

الجسم، وهو الجزء المتحرّك في التجويف الفمي.

القاعدة، وهو الجزء الخلفي الثابت.

وله أجزاء أخرى فرعيّة لها وظائف مشتركة، بين النطق وبلع الطعام، وغير ذلك، وما يهمّنا في هذه الدراسةِ هو ذكر دوره في عمليّة النّطق، وتلك الأجزاءُ هي:

طرف اللسان، (Tip of the Tongue)، وهو الجزء الأماميّ من اللسان، الذي يلامس الأسنان عادة، وله دورٌ في إصدار الأصوات في أثناء الكلام، ويتمّ عن طريق هذا الجزء إخراج الحروف الآتية: الطاء، والدال، والتاء، والزاي، والسين، والصاد، والظاء، والذال، والثاء، وقريبٌ من ذلك، أي من حافة اللسان ـ كما عند سيبويه ـــ تخرج هذه الحروف الأربعة: الصاد، والنون،

واللام، والراء، إلا أن الراء "أدخل في ظهر اللسان قليلاً"، (السابق: الصفحة نفسها).

ظهر اللسان، (Dorsum of the Tongue)، وبعضهم يسمّيه وسط اللسان، (Middle) وهو السطح العلويّ للسان، ويصدر عنه ثلاثة أحرف، هي: الجيم، والشين، والياء.

قاعدة اللسان، (Bust of Tongue)، وهو الجزء الخلفيّ العلويّ من أقصى اللسان، ومنه يخرج الحرفان: القاف، والكاف.

جذور اللسان، (The Root of Tongue)، وهو الجزء الأخير من السطح السفليّ للسان (القاعدة)، ويحتوي على جزء من الأعصاب والعضلات والشرايين، التي تتفرّع إلى مناطق اللسان الأخرى، ولا يصدرُ عن هذا الجزءِ أيّ صوتٍ.

والبعض يثبت للسان جزءاً خامساً يسمّيه حدّ اللسان، أو حافتيه (جانبيه)، وينسب إليه مخرج الحرفين: الضاد واللام، (مختار عمر، 1418هـ.1979م: 107).

وعلى هذا فاللسان مسؤول عن إنتاج ثمانية عشر حرفاً، بالاشتراك مع أجزاء أخرى من الفم، كالأسنان، والحنك، هذه الحروف الثمانية عشر مقسّمة على عشرة مخارج هي:

مخرجان بأقصى اللسان، للحرفين: القاف، والكاف.

مخرج واحد بوسط اللسان، للحروف: الجيم، والشين، والياء (غير المدّيّة).

مخرجان بحافّتي اللسان، للحرفين: الضاد واللام.

خمسة مخارج من طرف اللسان كالآتي:

أ.مخرج النون.

ب- مخرج الراء.

ج- مخرج الطاء والدال والتاء.

د- مخرج الصاد والسين والزاي.

هـ- مخرج الظاء والذال والثاء.

وهذه رسوم توضيحيّة تبيّن أجزاء اللسان الخمسة, ووظائفها

الشكل (2) أقسام اللسان.

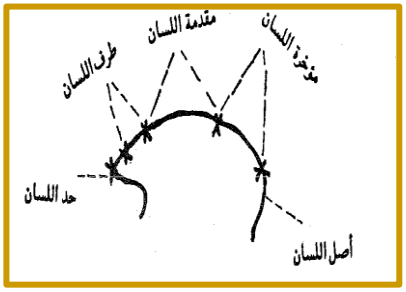

الشكل (3) وظائف اللسان.

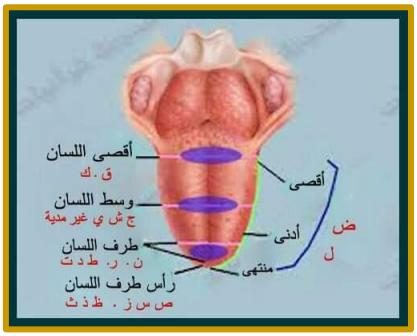

المبحث الثان

نظريّة التواصلِ اللغويّ

تعريف بأهم مصطلحات الدراسة:

اللسانيات: linguistique ، "هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الواقع، بعيداً عن النزعة التعليميّة والأحكام المعياريّة"، (قدور، 1429هـ-2008م: 15).

ويفرّق اللسانيّون بين ما يعرف عندهم باللسانيات العامّة general linguistic ، واللساتيات الوصفيّة descriptive linguistics ويُعنى بالأول دراسة اللغة من حيث هي بوصفها ظاهرة بشريّة تميّز الإنسان عن الحيوان، ونظاماً يتميّز عن الأنظمة الإبلاغية الأخرى، في حين يتناول الثاني وصف لغة ما، كالعربية أو غيرها، (يونس علي، 2004م: 13).

الوظائف: جمع وظيفة، والوظيفة: من (وظّف يوظّف) لفظه بالأجنبي: Fonctionariser ، من مصطلحات الإدارة والتوظيف، أما اللفظ العربيّ فقد تجاوز هذا المفهوم، إلى كل عمليّة تُكسب الظاهرة وظيفة جديدة في دلالتها أو إيحائها، أو تأثيرها الإنشائي، (المسدي، 1397هـ 1977م: 103).

التواصل: مفهوم التواصل في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: جاء في مقاييس اللغة: "(وصل) الواو والصاد واللام أصل واحد يدلّ على ضمّ شيءٍ إلى شيءٍ حتى يغلَقه ... وصلت الشيء وصلاً، والوصول به وِصلٌ، بكسر الواو" ، (ابن فارس، 1399هـ 1979: 6/ 115 و116)، ويرى ابن منظور أن الاتصال من الفعل وصل، وصلاً ووصولاً واتصالاً... والوصل خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء، يصله وصلاً وصِلة،(ابن منظور، د، ت: 11/ 726).

فالتواصل (تفاعُل) مصدر تواصَل، ولهذا الوزن في العربيّة معانٍ منها: التشريك بين اثنين فأكثر، يكون كل منهما فاعلاً في اللفظ، مفعولاً به في المعنى، مثل: التعاون، التشاور، التراحم.

وفي الاصطلاح:

يدلّ التواصلُ اصطلاحاً على عمليّة نقل الأفكار والتجارب، وتبادل المعارف مع الآخرين، أفراد وجماعات، وقد عرّف ابن جنّي اللغة التي هي أهم وسائل التواصل في كتابه الخصائص منذ أكثر من عشرة قرون فقال: "أمّا حدّها فإنّها أصواتٌ يعبّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم" (ابن جنّي، 1406هـ ، 1986م: 3/ 34) ، فالتواصل مصطلح يشير إلى أنواع التنقل المتبادل للمعلومات باستخدام العلامات والرموز بين الكائنات الحيّة (إنسان أو حيوان)، وهو بين البشر: التفاهم الذي يحصل عن طريق الوسائل اللغويّة، وغير اللغويّة، مثل: حركات الجسم، والإيحاءات، ونغمات الصوت.

فكلمة التواصل تعني إيصال المعلومات بواسطة المرسلات، وتتحقق المرسلات عن أشكال متعددة، هي: التموّجات الصوتيّة في المرسلة الشفويّة، والذبذبات الكهربائيّة في المرسلة الهاتفيّة، والأشكال البصريّة في المرسلة الخطّيّة، (زكريا، 1403هـ.1983م: 55).

نظريّة التواصل اللغويّ

نشأتها وتطوّرها:

هذه النظريّة وإن كانت تنسبُ إلى رومان جاكبسون (1896م – 1982م) Roman Gakbson إلا أننا نجد لها جذوراً عند غيره من العلماء، فنلمح البدايات الأولى لهذه النظريّة عند فرديناند دي سوسير (1856–1913م) – F. do Saussure حين تكلم عن نقل الدماغ الإشارة المناسبة للصورة إلى الأعضاء النطقيّة (الصوتيّة)، وبذلك ينتقل الكلام من المتكلم إلى المتلقي.

الشكل (4) كيف ينتقل الكلام بين الباث.أ.والمتلقي.ب.

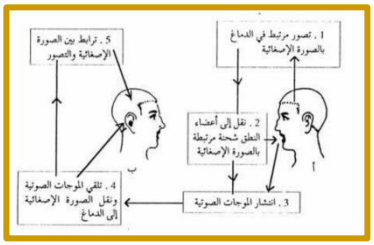

وذكر أن هذه العمليّة التواصليّة تحتاج إلى ثلاثة عناصر: ـ باث. – ومتلقٍّ. - وقناة تبليغ.

فهي عمليّةٌ عقليّةٌ، فقد وضع (دي سوسير) مخططاً بيانياً لهذه العلاقة الثنائيّة، حيث تصوّر أن (أ) يبث رسالة إلى (ب)، عن طريق تسرّب الهواء من الحنجرة إلى الفم، مكوّناً صوتاً أو رسالة صوتيّة تعبّر عما يختزن في الدماغ، فتبلغ رسالته بواسطة الصورة (الأوكستيكية) السمعيّة، التي تلتقطها أذن المتلقي، وتحولها إلى دماغه، الذي يفكّ شفرتها، وإذا أجاب المتلقي

يتكرر الأمر بصورةٍ عكسيّة، من (ب) إلى (أ) ، (صادق، ع، 28، 2011م: 3).

ثم جاء الباحث الألمانيّ كارل بوهلر – Karl Buhler (ت1963م) مكمّلاً عمل (دي سوسير) وهو عالم نفسيّ ولغويّ، تكلّم عن وظائف اللغة في الثقافة الغربيّة سنة 1918م، فذكر ثلاثة محاورٍ تقوم عليها العمليّةُ التخاطبيّةُ، هي: الوظيفة التعبيريّة الانفعاليّة المرتبطة بالمرسِل، والوظيفة التأثيريّة الإنتباهية المرتبطة بالمخاطَب، والوظيفة التمثيليّة المرتبطة بالمرجع.

ثم جاء (رومان جاكبسون - (Roman Gakbson سنة 1969م فطوّر هذه المحاور الثلاثة، مضيفاً بعض الوظائف اللسانيّة الأخرى، فقد قال في صدد بيان ذلك: "وانطلاقاً من هذا النموذج الثلاثيّ، أمكننا مسبقاً أن نستدلَّ بسهولةٍ على بعض الوظائف اللسانيّة الإضافيّة"، (جاكبسون، 1988م: 3). فتجاوز بنظريّته التواصليّة هذه النظرةَ الضيّقة للمنهج البنيويّ الذي أسّسه (فيرديناند دي سوسير) الذي يرى أن اللغة تدرس بذاتها ولذاتها، واستطاع أن يوسّع دائرة البحث ليشمل اللغة ومستعمليها، بإشراكه المخاطَب في الحدث الكلاميّ، بل عدّ عمليّة التخاطب من صلب العمليّة التواصليّة، فاستوفى بذلك العناصر الأساسيّة للظاهرة اللغويّة، فظهرت وظيفة اللغة الحقيقيّة، كما أنه يشدّد على دور الوظائف الاجتماعيّة للغة، لأهمّيّتها في الفعل الكلامي.

وفيما يلي عرضٌ موجز لهذه العناصر:

عناصر التواصل اللغويّ عند رومان جاكبسون:

رومان جاكبسون: (ت1982م) عالمٌ لغويّ روسيّ، من أصل يهوديّ، وهو أحد أبرز اللسانيين خلال النصف الأول من القرن الماضي، كان من روّاد الشكلانيّة الروسيّة، تنقل بين الدانمرك، والنرويج، والسويد، وتشيكسلوفاكيا، ثم الولايات المتحدة الأمريكيّة عام 1941م واستقرّ بها حتى وفاته عام 1982م.

وقد مرّ في مسيرته العلميّة بثلاث مراحل أساسيّة ، هي:

- مرحلة حلقة موسكو اللسانيّة، (1915 .1920م)،
- مرحلة حلقة براغ بتشيكسلوفاكيا، (1920. 1930م)،
- ومرحلة التدريس بالولايات المتحدة الأمريكيّة في كل من جامعة هارفارد، ومعهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا (MIT)، وفي هذه

المرحلة الأخيرة اهتم باللسانيّات العامّة تأليفاً وتدريساً، (حمداوي، 2015م: 34) وكان في أثناء ذلك نشِطاً، أثّر بأبحاثه في أفكارٍ تتعلقُ بالبِنيويّة، كما كان له دورٌ فعّالٌ لا يمكن إنكاره في تأسيس نظريّة لغويّة ذات أهمّيّة كبيرة في الدرس اللغويّ الحديث، وهي ما يُسمّى في كتب النقد بـ(نظريّة التواصل اللغويّ).

تعدّ نظريّة التواصل اللغويّ من أهم النظريات التي اكتُشفت في العصر الحديث، يقول (جرهارد هلبش): "إنّ كلّ المفاهيم الأساسيّة للنظريّة النحويّة، لا يمكن أن تفسّر إلا على أساس نظريّة التواصل اللغويّ"، (هلبش، 2007م: 149)، وقد قامت هذه النظريّة على اعتبار أن اللغة هي عبارةٌ عن مجموعةٍ من المفاهيم تقوم بوظائف، ولهذا اهتمّت بالخطاب بوصفه صلب العمليّة التواصليّة، فغيابُ الخطاب عن الواقع، يعني غيابَ الخطاب بكل متعلقاته، وغيابَ السلوك الإنسانيّ أيضاً؛ لأنه مبنيّ على هذا التواصل، وقد نصّ منظّر التواصليّة اللغويّة (رومان جاكبسون) على أن "اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانيّة"، (جاكبسون، 1988م: 24).

وما يمتاز به (جاكبسون) هو أنه أرسى دعائم علم التواصل وفق الأنظمة اللسانيّة، وذلك على "أن اللغة الإنسانية لها وظيفة أساسيّة تتمثل في التواصل، ومن ثم فإنها تقوم على ستة عناصر، وست وظائفَ أساسيّة تابعةٍ لها"،(حمداوي، 2015م: 47)، وتلك العناصر هي:

المرسِل، (Sender)، ويسمى (الباثّ)، و(المتحدّث)، وهو المصدر الأساسيّ في العمليّة التواصليّة.

المرسَل إليه، (Sent to)، وهو المتلقي الذي يتوجه إليه الخطاب، أو الرسالة من المرسِل، وقد اشترط (جاكبسون) أن يكون المرسَل إليه مؤهّلاً لفهم الرسالة، سواء أكان موجوداً أم غير موجود، فليس كل مستقبِل يصحّ أن يكون متحدَّثاً إليه، ولذا نجد أن علماء الفقه قد اشترطوا – قبل ذلك – في المخاطَب (المكلف) أن يكون عاقلا بالغاً، (مدركاً), استناداً إلى قوله ﷺ "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقِل"، (البخاري برقم: 4403).

الرسالة، (Message)، وهي رموز تنتقل من الصوت إلى المعنى، لنقل الرسالة من المرسِل إلى المرسَل إليه، وهي في مفهوم (جاكبسون) متواليات صوتيّةٌ، أو ما في معناها إن كانت مكتوباً.

السياق، (Reference)، (المرجع المشترك)، ولكي تكون الرسالة فاعلة فلا بدّ أن تحيل إلى مرجع مشترك بين المرسِل والمرسَل إليه، وهو السياق، ويقصد به المتحدَّث عنه، أو الموضوع الذي يقوم المرسِل بتوجيهه إلى المرسَل إليه عبر الرسالة، والموضوع له ملابسات كثيرة من زمان، ومكان، وحال المرسل إليه، وعدده، ونوعه، وغير ذلك، فالسياق أو المرجع لا بدّ أن يكون مقبولاً واضحاً من لدن طرفي الإرسال، ولذا نجد النحاة يشترطون في المتكلم (وهو المرسِل) أن يكون عارفاً بمغزى كلامه، يعني ما يقول، قاصداً له، كما اشترط الفقهاء في المخاطب أن يكون أهلاً للخطاب.

السّنن، أو الرامزة، ((Code، ويقصد به نظام الترميز الخاص بين المرسِل والمتلقي، وهذا المصطلح استعمله (جاكبسون) للدلالة على النظام اللغويّ العام الذي يستعمله المتكلم، (جاكبسون، 1988م: 3)، واستعمل غيره اللغة أو النظام، أو القدرة، وهو – على كل حال – يعني وجود نظام لغويّ مشترك، (um code) بين المرسِل والمتلقي.

فالسّنن العامّ مشتركٌ بين المرسِل والمتلقّي - كما قلنا - وهو أمرٌ كليّ له جزئياتٌ يقومُ عليها، كأنواع تركيبات الكلام، وتشمل أنواع الجمل (اسمية، فعليّة، شبه جملة)، ومتعلقات كلٍّ من الخبر والإنشاء، وغيرِ ذلك من أنواع الأساليب النحويّة والبلاغيّة، وكذلك يتضمّنُ الأبنية الصرفيّة والمعجميّة، وأسهل تعبير وأقربه للفهم هو أن يُعبّر عنه باللغة.

قناة الاتصال، (Means of Communication)، وهي عمليّة فيزيقيّة (فيزيولوجيّة) تسمح بإقامة التواصل عن طريق فعل الرسالة، من المرسل إلى المرسل إليه، (جاكبسون، 1988م: 27)، وقناة الإرسال في اللسانيات اللغويّة هي الهواء، باعتبار أنّ الأصل في التواصل أن يكون خطاباً (كلاماً ملفوظاً)، وإن تعدّدت قنوات الاتصال في العصر الحاضر وتنوّعت بتنوّع وسائلها.

وتعدّ القناة – إلى جانب السياق – عاملاً رئيساً في العمليّة التواصليّة اللسانيّة، إذ لولا القناة الناقلة لما حصل تواصلٌ، وقد صاغ (جاكبسون) هذه الخطاطة اللسانيّة لبيان أهمّية هذه العوامل التي لا يستغني عنها التواصلُ اللفظيُّ: (جاكبسون، 1988م: 27).

الشكل - 5 - يمثل خطاطة عمليّة التواصل حسب جاكبسون

	4 السياق/ المرجع	
1 المرسِل←←←	3 الرسالة	2 ←←← المرسَل إليه
	6 الاتصال	
	5 السنن/ الشفرة	

الشكل -6- المتكلم يرسل رسالة، (حمداوي، 2015م: 54)

وظائف التّواصل اللغويّ:

هذه العناصر السابقة المكوّنة لعمليّة التواصل، وارتباطها فيما بينها بنسب متفاوتة، ينتج الوظائف الست لهذه العمليّة، وقد جعل (جاكبسون) هذه العناصر، تمهيداً ليصل بها إلى ما هو أهم، وهو الوظائف التي تتمخّض عنها هذه العناصر، فيرى أن اللغة من خلال العناصر السابقة تحقق ستة أهداف، هي:

الوظيفة التعبيريّة، أو الانفعاليّة، (Emotive)، عندما يكون تركيز الرسالة منصباً على الطرف الأول (المرسِل)، أو المتكلم الذي يسعى إلى إرسال خبر ما (رسالة)، إلى الطرف الثاني (المرسَل إليه)، فيتخذ المرسِل عدّة صيغ لبث شعوره وأحاسيسه المتعدّدة، كالفرح، والغضب، والاستياء، والتوسّل ..إلخ. باللفظ أو ما يُعبّر عن ذلك من الإشارات والأساليب التي تزخر بها اللغة الطبيعيّة، وقد يُستعمل التنبير أو التنغيم، برفع الصوت أو خفضه، ولذا سمّيت أيضاً بالانفعاليّة؛ لأنها تهدف إلى ترجمة أحاسيس المتكلم، وانفعالاته، وهمومه.

الوظيفة الشعريّة، (PoeStiqe)، وترتبط هذه الوظيفة بالرسالة؛ لأنها تحمل المعنى، وتوضّح المضمون لهذه الرسالة، فيستعمل المرسِل عن طريقها مختلف الأساليب

والتعبيرات اللغويّة المتعلقة بالجانب الجماليّ، فهي معروفة بالانزياح عن قوانين اللغة، نحويّة وصرفيّة، ابتغاء الصبغة الجماليّة، ويتجلى ذلك في النصوص الأدبيّة، شعريّة كانت أم نثريّة.

الوظيفة المرجعيّة، (Referentially)، وهذه الوظيفة ترتبط بالمرجع أو (السياق)، وتسمى أيضاً بالوظيفة التعيينيّة، وتسخّر هذه الوظيفة العلاقة القائمة بين العلامات، وما تحيل عليه في العالم الخارجي يُجسّد سياق التخاطب؛ لأن مهمّتها هي تزويد المتلقي بمعلومات صحيحة، وغالباً ما تكون في صيغة إخباريّة، ويميّز هذه الوظيفة عن باقي الوظائف الخمس، أنها تقوم بالوظيفة الأساسيّة في نظريّة التواصل، وهي: نقل الخبر إلى المتلقي.

وبما أنّ هذه الوظيفة تعدّ قاعدة أساسيّة لكل الأشكال التواصليّة، فلا بدّ من وجود مصدرٍ تستقي منه الأخبار والمعلومات التي تودّ تبليغها للمتلقي، ليكسب هذا الخبر مصداقيّة وشرعيّة، ولا بدّ أيضاً أن يكون واضحاً، لا لبس فيه ولا غموض، ويُستعمل في هذه الوظيفة – عادة – ضمائر الغيبة: (هو، هم، هي، هن).

الوظيفة الانتباهيّة (التأثيريّة)، وتسمّى وظيفة إقامة الاتصال، (Phatique)، وتتصل بقناة الاتصال، وهدفها إقامة هذا الاتصال أو إيقافه، ولتحقيق هذا الغرض، تستعمل تعابير وأساليب متداولة في الحياة اليوميّة، مشتركة بين أفراد المجتمع، وهي في الغالب مفردات جاهزة، لها وظائف تواصليّة متعارف عليها، كالمسامرة، والتحيّة، والأسئلة عن الأحوال الشخصيّة، وأحوال المناخ، وغيرها من العبارات التي سماها (مالينوفسكي)، بـ(التشارك الانتباهيّ) ، (أوركان، 2001م: 150)، ويتجسد ذلك بواسطة:

- ضمائر الخطاب.
- الصيغ الأمريّة.
- الصيغ الندائيّة.

الوظيفة الإفهاميّة، (Conative)، وترتبط هذه الوظيفة بالمرسل إليه (المتلقي)، ولذا يكثر فيها استعمال ضمائر الخطاب، وأساليب النداء والأمر والاستفهام والتعجّب، وذلك للفت انتباه المتلقي والتأثير فيه، كما تسعى أيضاً إلى تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل إليه بغية الحصول على ردّة فعل منه، بخلاف الوظيفة التعبيريّة التي تستعمل ضمير المتكلم (الأنا)، والوظيفة المرجعيّة التي توظّف ضمير الغائب (هو، هي)، نلاحظ استعمال الوظيفة الإفهاميّة لضمير الخطاب (أنت)، وفعل الأمر ذي الصيغة

التحضيريّة، كالقصائد والكتابات التي تهتمّ بقضايا عامّة، كالانتفاضات والثورات، مثل أشعار محمود درويش التي يهتم فيها بالقضيّة الفلسطينيّة.

وظيفة اللغة الواصفة، (Metalinguistique)، وتسمّى وظيفة ما وراء اللغة، (ميتالسانيّة)، وهي وظيفة ترتبط بالسّنن، أي: الرمز المستعمل بين طرفي الإرسال، ويُميّزها عن غيرها قدرتُها على وصف اللغة نفسها، فهي لغة علميّة دقيقة، تقوم بتفسير كل الظواهر العلميّة وتحليلها، وشرح المصطلحات والمفاهيم الصّعبة، وقد وضّح جاكبسون هذه الوظائف اللغويّة بواسطة التّخطيط التالي: (جاكبسون، 1988م: 33).

الشكل - 7 - يمثل مخطط وظائف التواصل اللسانيّ، حسب نظريّة جاكبسون

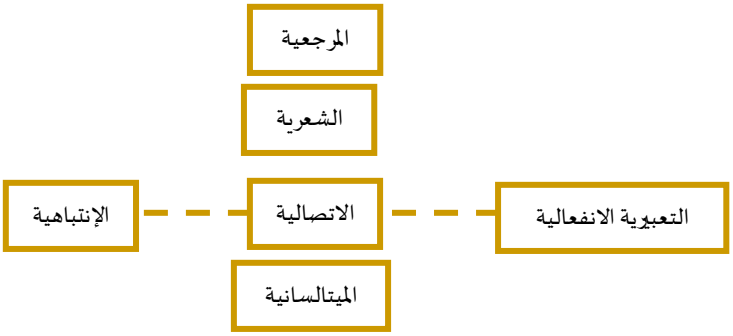

جدول (1) يبيّن عناصر التواصل، وعلاقتها بوظائف اللغة

تسلسل	عناصر التواصل	مصدر التواصل	الوظيفة
1	المرسل	الرسالة	انفعالية
2	الرسالة	الرسالة	شعرية
3	المرسل إليه	الرسالة	تأثيرية
4	القناة	الرسالة	تواصلية
5	المرجع	الرسالة	مرجعية
6	السنن	الرسالة	ميتالغوية

الخاتمة ونتائج البحث:

وفي نهاية هذه الدراسة عن اللسان ودوره في عمليّة النطق، وبعد عرضٍ موجزٍ لأهمّ نظريّةٍ حديثةٍ في علم اللسانيات، نصلُ إلى نتائجِ البحثِ، وأهمّها:

أن اللسان أحد أهم أعضاء النطق لدى الإنسان، حتى إن الله تبارك وتعالى عبّر عن اللغة باللسان في غير ما آية من القرآن الكريم، لدوره في إخراج كثير من الحروف بالاشتراك مع أجزاء الفم الأخرى، تصل إلى ثمانية عشر حرفاً.

أن اللسان يختلف عن بقية أعضاء النطق كاللهاة، والحنجرة، والأنف، إذ أنه ينتج الأصوات من عدد من أجزائه، كطرفه وظهره وقاعدته، ولهذا تعددت الحروف التي تصدر عنه.

أن نحاتنا القدامى كالخليل وسيبويه وغيرهما عُنوا بدراسة هذا العضو دراسة عميقة موسّعة عند ذكر مخارج الحروف، فبيّنوا عدد الحروف التي تصدر عنه، وأوضاعه المختلفة في إصدار الأصوات، وقد كانت دراسة أسلافنا في هذا المجال وغيره منبعاً خصباً لعدد من النظريات اللغويّة الحديثة.

أن نظريّة التواصل اللغويّ التي اشتُهر بها العالم الروسيّ (رومان جاكبسون – 1982م) أسّس جذورها علماء سبقوه أشهرهم: اللغويّ السويسري (فيرديناند دي سوسير – 1913م) والبحث الألمانيّ (كارل بوهلر – 1963م)، ولجاكبسون فضل تطوير هذه النظريّة، واستكمال عناصرها الستة، ووظيفة كل عنصر، حتى صارت أهم النظريات التي اكتُشفت في العصر الحديث، فأرسى بذلك دعائم علم التواصل وفق الأنظمة اللسانيّة.

إن الإحاطة بالفكر الغربيّ في هذه العلوم وغيرها، أمرٌ في غاية الأهمية؛ وذلك لأن الدراسات العربيّة قد انقطعت ردحاً من الزمن، في الوقت الذي حقّق فيه الغرب تقدّماً ملحوظاً في كثير من الأصعدة، ومنها العلوم الإنسانيّة، التي من ضمنها علم اللغة، فلا بدّ لنا من الاستفادة من هذه الإشعاعات خدمة لثقافتنا، حتى نسدّ فراغاً واضحاً بمكتبتنا العربيّة، فنستفيد من حاضر الغرب كما استفادوا من ماضينا، ونصل ماضي أمتنا بالحاضر، وننطلق مثلهم على هذا الأساس.

قائمة المصادروالمراجع:

أولاً-المصادر:

1. ابن جنّي: الخصائص، ج3، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصريّة للكتاب، ط3، 1406هـ - 1986م.

2. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

3. سيبويه: الكتاب، ج4، ت: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1395هـ. 1975م.

4. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت. لبنان، د: ت.

ثانياً-المراجع:

مراجع عربية:

1. د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1979م.

2. د. أحمد مختار عمر، دراسات الصوت العربي، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ - 1979م.

3. د. جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، شبكة الألوكة، ط1، 2015م.

4. صالح عبد الرحمن الحاج وآخرون، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002م، ص147.

5. عمر أوركان: اللغة والخطاب، دار أفريقيا الشرق، 2001م.

6. د. محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيرت – لبنان، 2004م.

7. ميشال زكريا: علم الألسنية الحديث. المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بناية السلام، بيروت ــ لبنان، ط2، 1403هـ. 1983م.

مراجع مترجمة:

1. جرهارد هلبش: تطوّر علم اللغة منذ 1970م، ترجمة وتقديم: أ. د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2007م.

2. رومان جاكبسون: قضايا الشعريّة، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م.

ج- أبحاث:

1. فاطمة الزهراء صادق: التواصل اللغوي ووظائف عملية الاتصال في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة الأثر، جامعة سيدي بلعباس/ الجزائر، العدد: 28، 2117م.